

مع زلزال سومطرة: سؤال عن الرحمة والعدل الالهيين (2-4)

<"xml encoding="UTF-8?>



قلنا في الحلقة الأولى إن في الكون أسرارا قد نكتشفها وقد لا نكتشفها، وقد ندرك وجه الحكمة في الحوادث النازلة وغيرها وقد لا ندركه. هذه حقيقة أكد عليها القرآن الكريم حين بيّن أن الإنسان قد يجهل ما يتعلّق بشأنه الخاص، فلا يدري من أقرب له نفعا، وقد يكره زوجته التي فيها الخير الكثير له.

﴿ ... آباؤكُمْ وَأَبْنَاؤكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيْهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ... ﴾ ١
﴿ ... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهُتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرُهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ٢

وهناك حقيقة أخرى ينبغي أن تكون حاضرة أمامنا أثناء محاولة إيجاد تحليل وتعليق لهذه الظواهر المأساوية التي تحدث في الكون بين حين وآخر. فالكون أو كتاب التكوين مثل القرآن أو كتاب التدوين يحتوي محكمات ومتباينات، فحين تكون آية كونية متشابهة يجب علينا أن نردها إلى محكمات الكتاب.

إن جميع علماء الطبيعة والفلك يجمعون على أن الكون في أبدع صورة، ويوجد بين أجزائه من التناسق والانسجام والترابط ما يجعل الحياة ممكنة ومستمرة، وأن كل شيء محسوب بدقة.

﴿ ... صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ ٣

هذه الآية المحكمة وأمثالها تعتبر الأساس لمحاولة فهم الظواهر الكونية المتشابهة.

بعد استيعاب هذه الحقائق، نرى من الضروري أيضا التطرق إلى أن البلاء الذي ينزل بالإنسان قد يكون بسببه وقد لا يكون بسببه. فالإنسان الذي يصاب بالأيدز مثلا لأنّه مارس الزنا يختلف عن الطفل الذي أصيب بالأيدز وهو في بطنه أمّه. كلاهما جرى عليهما قانون طبيعي، ولكن البلاء غير الطبيعي. يقول أمير المؤمنين (إن البلاء للظالم أدب ، وللمؤمنين امتحان ، وللأنبياء درجة ، وللأولياء كرامة)

لقد تحدث القرآن الكريم عن العديد من الأقوام الذين خالفوا سنن الله فحل بساحتهم البلاء:
﴿ فَكُلَّا أَحَدْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَحَدَثْنَاهُ الصَّيْحَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَقْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ٤
وفي نفس الوقت تحدث عن سنة الابتلاء التمحصية:

٥ ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْحَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾

ومن المؤسف أن كثيرا من الناس ينظرون للظواهر الكونية المخيفة من زاوية السلب فقط، بينما يؤكّد العلماء أن هذه الظواهر لا تخلو من إيجابيات فهي ليست شرا مطلقا، وهذا ما سنتعرض له فيما سيأتي إن شاء الله.⁶

1. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 11، الصفحة: 78.
2. القران الكريم: سورة النساء (4)، الآية: 19، الصفحة: 80.
3. القران الكريم: سورة النمل (27)، الآية: 88، الصفحة: 384.
4. القران الكريم: سورة العنكبوت (29)، الآية: 40، الصفحة: 401.
5. القران الكريم: سورة البقرة (2)، الآية: 155، الصفحة: 24.
6. نقلًا عن شبكة مزن الثقافية - 4/1/2005 - 11:13 ص.